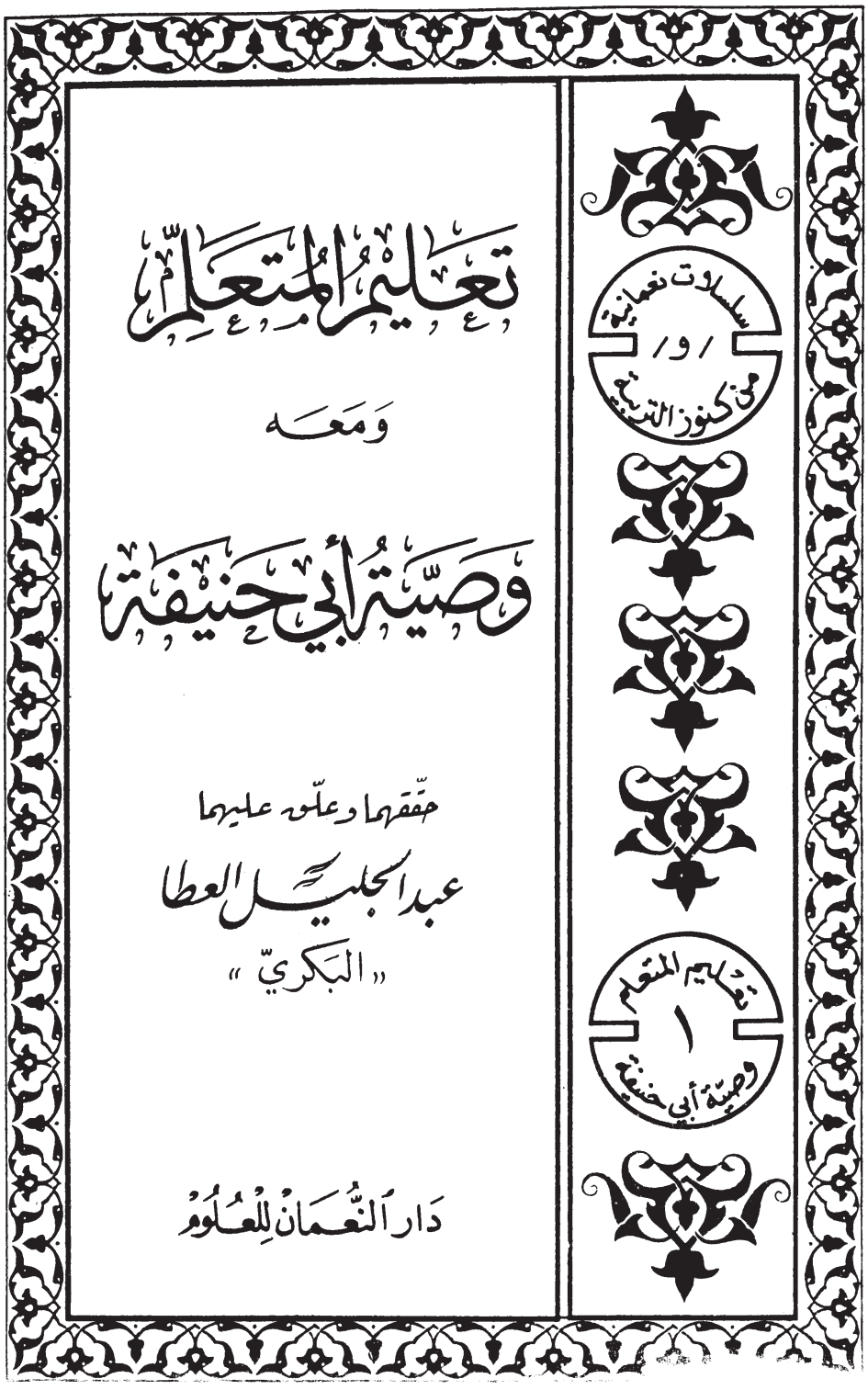

تعليم المتعلم

وَمَعَه

وصية أبي حنيفة

حققهما وعلّق عليهما

عبد الجليل العطا

«البكريّ»

دار النعمان للعلوم

الحمد لله

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دمشق - برامكة - جانب دار الفكر - هاتف: ٢٢٣٧٢٩٥

شارع بغداد - جادة عاصم - قرب جامع السادات (الأقصاب) هاتف: ٤٤٧٤٧١٦

جوال: ٠٩٣٢٦٦٧٣٣٩ - ٠٩٥٥٨٩٣٢٨٣

E-mail:alnouman@scs-net.Org

دراسات - تحقيق - طباعة - نشر - ترجمة

دمشق / حي النزهة هـ: ٥١١١٣٠٦ - ص.ب:

فرع ثان / شارع بغداد - عقيبة - شمال جامع التوبة - هـ: ٢٣٢١٧٢٤

الإهداء

إلى منية القلب ..

وغنية الفؤاد ..

ويمنة الرّوح ..

إلى بناتي الأعزّة: مُنْيَة .. غُنْيَة .. يُمْنَة

أُقَدِّمُ هَذِهِ ٱلصَّحِيفَةَ ٱلتَّربَوِيَّةَ
عَهْدَ ٱلبِرِّ وَٱلعَطْفِ وَٱلعِلْمِ وَٱلأَدَبِ

سائلاً المولى أن يجعلكنّ من الباقيات الصّالحات
وقُرَّة عين لسيّدنا رسول الله ﷺ

مقدمة التحقيق

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا رسول الله .

وبعد ؛ فإن هذا الكتاب المختصر يعتبر من طليعة التصانيف التربوية التي أسهمت وماتزال تسهم في رسم خطط التعليم الهادف والتربية الصحيحة لطالب العلم ، وتعمل على ضبط مسلكه وتسديد خطاه . .

وهذا كتاب مدرسي نفيس ومفيد جدَّاً ، أطبقت شهرتُه بقاعاً شتَّى لأجيال عديدة ، وعُرف مؤلِّفه بهذا الكتاب اليتيم ، كما عرف بتلمذته للفقيه الشهير صاحب « الهداية » . ولكن عَلَميَّة هذا الكتاب بما فيه من توجيهات تربوية مفيدة وضرورية خفقت في سماء الأقطار الإسلامية المتباعدة ، وفي أندية العلم المتناثرة ؛ فاكتسب عناية وافرة

لدى الناشرين والباحثين ؛ بله الطلبة والمبتدئين ، فحظي مع إشراق شمس الطباعة بكثير من أشعتها الفتية فطبع مرات عديدة كان أهمُّها :

١ ـ في ألمانيا سنة ١٧٠٩ ، وليبسيك : ١٨٣٨ ، وفي مرشد آباد وتونس : ١٢٨٦هـ ، وفي الآستانة : ١٢٩٢ ، وفي قازان : ١٨٩٨ وفي مصر : ١٣٠٠ وغير ذلك الكثير ، وكان آخرها في مطبعة البابي الحلبي : ١٣٦٧ ثم جاء بعد ذلك الباحث مصطفى عاشور فأخرج الكتاب بشكل عصري ، ـ انظر (مقدمة الطبع) ـ وهذا فضلاً عن مئآت النسخ الخطية التي ما يزال متداولاً منها الشيء الكثير .

وهكذا فإن مؤلِّف هذا الكتاب قد قدَّم لأبناء دينه ولغته وأحفاده من طريق العلم ما يجب أن يخلِّد له الذكر الحسن والثناء العطر والصيت الذائع . . حيث سبق في ميدان التربية والتوجيه والتعليم قرونا ومحاولاتٍ تربويةً هادفةً ، فكان مَنْ كتب بعده عالة عليه ناهلاً من معينه .

ولكن ترى هل صاحب هذا الكتاب هو برهان الإسلام

الزَرْنُوجِي ، أم رجل آخر غيره ؛ وقد اختصره الزَرْنُوجِيُّ !؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا أغفل اسم المؤلف الأول ، ثم لماذا نُكِّرَ هذا الثاني ؟!

والذي أستطيع أن أبرِّر فيه هذه الاستفهامات أن عبارة المؤلف ههنا تدلُّ على أن الزرنوجي (تلميذ صاحب الهداية) ولكنَّ هذا الكتاب ليس تصنيفاً مبتدأً له ـ كما أظنُّ ـ ولكنه مختصر من كتاب آخر يجب أن نستحثَّ الخُطَا وندأب البحث لنقف فيه على حقيقة الحال ومجلى الواقع ! وهذا ما أعِدُ به في تحقيقٍ آخر لهذا الكتاب ؛ إن شاء الله تعالى ، أو استنهض فيه همَّة مباركة للراغبين بالحقيقة والمهتمِّين لها ، وإلاَّ ! فأعِدُ أن أتتبع ذلك المسلك الوعر لأسهم في ردِّ النصاب لصاحبه ومنح الوسام لمستحقِّه .

وعلى كلِّ حال ـ ومع محافظتنا على نسبة الكتاب لصاحبه ـ نقول : إن في عبارات الكتاب ما يُشير إلى ماأريد أن أقوله ، فدونك ـ إن شئت ـ قوله في الفصل الثاني : (وأنشد الشيخ الإمام الأجلُّ برهان الدِّين) ولم يشر إلى تلمذته عليه ، ولم يذكر أي لقب يدلُّ على الإضافة

(شيخنا . . .) ؟!

وكذلك بعده بقليل . . . أنشدنا الشيخ الإمام الأجل قوام الدين . . .

بينما في آخر الفصل ذاته يقول : وقد كان إمامنا !! ، وكذلك في الفصل الرابع : وكان أستاذنا شيخ الإسلام . . .

وتأمَّل قوله في الفصل السادس : بداية السبق : انتهى وقال أيضاً (؟!) . . . آفة . قال أستاذنا . . .

وتأمَّل وأنعم النَّظر في قوله في الفصل الخامس (قال المصنف رحمه الله ؟! : وقد اتفق لي فِي هذا المعنى . . .) .

هكذا يتراآى لي !! ولكنِّي لستُ في مقام التصويب أو اليقين ، وإنَّما أضع هذا بين أيدي الباحثين المأمونين ، وأُسهم معهم في هذه الخيوط الضئيلة الباهتة فأجعلها بين ناظريهم من ترجمة المؤلِّف بغيةَ الوقوف على حقيقة الحال ؛ فأقول ـ وبالله التوفيق ـ:

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

لقبه : هو برهان الإسلام ، أو برهان الدين . والأولى أشهر .

اسمه : لا يُعْلَم اسمه العَلَم على وجه التحديد . والله أعلم مَنْ وراء خَفائه !!

نسبته : إلى « زَرْنوج » بلدة مشهورة من وراء النهر بعد خوجند ، من أعمال تركستان .

شيوخه: قرأ وتتلمذ على العلامة الجليل علي بن أبي بكر المرغيناني الرُّشْدَانِي (مؤلف الهداية) ، وقد اشتهر بنسبته إلى هذا الشيخ الجليل حتى غلب على اسمه ؛ فضلاً عن كنيته .

ومن شيوخه أبو المحامد قوام الدين حمَّاد بن إبراهيم الصفَّار ، وقد ترجمناهُ بإيجازٍ في بعضِ الهوامش . .

وممَّا يدلُّ على تلمذته للعلاَّمة الكبير حسن بن منصور (قاضيخان) قولُهُ في الفصل الرَّابع : وكان أستاذنا القاضي . . .

ومن شيوخه أيضاً ركنُ الإسلام مُحمَّد بن أبي بكر الجُوغي المعروف بـ (إيمان زاده) صاحب « شِرعة الإسلام » المتوفَّى سنةَ ثلاثٍ وسبعين وخمس مئة .

ومنهم سديدُ الدين الشِّيرازيُّ كمايفهم مما ذكره في الفصل الرابع .

طبقته : عُرِف مِن أهل طبقته تاجُ الدِّين النُّعمان بن إبراهيم الزَرْنُوْجِي المتوفى ببخارا يوم عاشوراء سنة أربعين وستِّ مئة ، له « الموضِّح » في شرح « المقامات » .

ومن أقرانه في الطلب عند الصفَّار : افتخار الدِّين طاهر بن أحمد (صاحب الخلاصة) .

تلامذته : وجدنا ممَّن أخذ عنه . . .

تصانيفه : لم يُعْرَف له إلاَّ هذا الكتاب الذي اشتهر به .

وفاته : لم نَعْثُرْ على تاريخ دقيق لوفاته ، إلاَّ أنَّه من أعيان القرن السابع !

مقدمة الطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

في ظرف خاصٍّ . . وبين يديْ مسؤولياتٍ كثيرة . . ومن خلال التزاماتٍ عديدة . . قَصَدَنَا بعضُ طلبة العلم من بلاد بعيدة يرغبون أن نوفِّر لهم عدداً من كتاب « تعليم المتعلِّم » . . هذا الكتاب النَّفيس الذي لا يجوز أن يستغنيَ عنه طالبُ علمٍ ، لأنَّه يرسم له خطَّة تجعل منه عَلَماً عاملاً ، أو على الأقلِّ طالبَ عِلْمٍ موفَّقاً ، ولأنَّ لي بهذا الكتاب صلةً طيِّبة حينما حقَّقت رسالة تتشابه معه في أبحاثه وعباراته ونصوصه هي « ترغيب المتعلِّمين » للقسطموني . . ولأجل النَّصيحة بل الأمانةِ المُلقاة في أعناقنا . . لم أَجِدْ بُدَّاً مِن أن ألبِّي هذه الرَّغبة الواجب تنفيذها لهؤلاء الإخوة القادمين .

وحاولت أن استرق من وقتي ما هو ضيِّق لأنفِّذ هذه الرَّغبة التي لامست شِغَافَ قَلبِي لأقدِّم لإخواني وأحبابي من

طلبة العلم عموماً ، وأبناء المعاهد الشرعيَّة خصوصاً ما يجعلهم أهلاً لحملِ المسؤولية الملقاة على عواتقهم . . . .

وبحثت في أنحاء مكتبتي لأجدَ نسخة ما من هذا الكتاب فعثرت على مطبوعة في مطبعة البابي الحلبي سنة ١٩٤٨ وعثرتُ على نسخة ثانية مع الشرح الوحيد لهذا الكتاب للشيخ إبراهيم بن إسماعيل مطبوع أيضاً في مطبعة البابي الحلبي سنة ١٩٤٢ وهو الشَّرح الذي ذكره في « كشف الظُّنون » .

وعثرتُ على نسخة (حقَّقها مصطفى عاشور ! طبعت بالقاهرة) ولست بمعرض التَّتَبُّع والنَّقد ، وإنَّما كلٌّ يعمل على شاكلته ، والقارىء الحاكم .

وقد حاولت تلبية نصيحة المؤلِّف في (الفصل الثاني) فألحقت تيسيراً على الطَّالب وصية إمامنا الأعظم ليوسف بن خالد السمتي وجعلتها رديفة لهذا الكتاب لمالها من صلة وثيقة في كيفيَّةِ تعامل العالم مع مَنْ حَوْلَهُ .

وألحقت أيضاً تلك القصيدة العصماء التي تعبِّرُ عن

شخصية الوريث المحمَّدي فأثبتُّها مع هذا الكتاب . . كما ستجد ذلك ، وقد عنونتها بـ « خُلُق العَالِم » .

وهكذا سيبدو للقارىء الكريم أنِّي تخيَّرت نسخة مميَّزة لهذا الكتاب جمعت فيها عدداً من النُّسخ إضافةً إلى تصويب ما يلزم لهذا النَّص مستعيناً بكتب التَّراجم على حسب ورودها في مواضعها .

نقلاً عن هذا الكتاب .

وإن كان ولا بدَّ من بيان المنهج المتَّبع في إخراج هذا الكتاب فقد :

١ ـ ضبطْتُ النَّصَّ ضبطاً تامَّاً .

٢ ـ رقَمْتُه بعلامات التَّرقيم .

٣ ـ عنونت فقراتِه كاملةً .

٤ ـ عزوت الآيات لمواضِعِها ، وخرَّجْتُ الأحاديث الشريفة .

٥ ـ أتممت فوائدهُ بما يحتاجه طالب العلم ممَّا هو ضروريٌّ ؛ أو مفيد .

٦ ـ ترجمت الأعلامَ الوارد أسماؤها ممَّا أراه مؤدِّياً بعض الغرض .

٧ ـ شرحت الغريب ممَّا يلزمُ للطالبِ ملاحظاً الشريحة الأوسع .

٨ ـ حاولت التَّعريف بالكتاب ومؤلِّفه .

٩ ـ وضعت فهارس عامَّة لتسهيل الاستفادة منه .

ختاماً . . أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا جميعاً لما يحبُّ ويرضى ، وأن يتقبَّل صالح أعمالنا ، وأن يجعله سبباً للنَّفع الدَّائم والإفادة المثمرة ، وأن يجزيَ عنَّا شيوخنا وآباءنا وأهلينا وأحبابنا ومحبِّينا خير الجزاء ، ويُحْسِنَ ختامنا وختامهم .

وآخر دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم

عبد الجليل العطا البكري

تعليم المتعلم

طريق التعلم

برهان الإسلام الزرنوجي

حققه وعنونه وعلق عليه

عبد الجليل العطا

«البكري»

دار النعمان للعلوم

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ يَنَابِيعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ .

وَبَعْدُ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثِيراً مِنْ طُلاَّبِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا يَجِدُّونَ إِلَى الْعِلْمِ ؛ وَلاَ يَصِلُونَ ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ[1] وَثَمَرَاتِهِ يُحْرَمُونَ ، لِمَا أَنَّهُمْ أَخْطَأُوا طَرَائِقَهُ ، وَتَرَكُوا شَرَائِطَهُ ، وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ ضَلَّ ، فَلاَ يَنَالُ المَقْصُودَ ؛ قَلَّ أَوْ جَلَّ . . أَرَدْتُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ ؛ عَلَى مَا رَأَيْتُ فِي الْكُتُبِ[2] ، وَسَمِعْتُ مِنْ أَسَاتِيذِي أُولِي الْعِلْمِ وَالْحِكَمِ ؛ رجَاءَ الدُّعاءِ مِنَ الرَّاغِبِينَ فِيهِ

---

(١) وهي العملُ به ونشرُه .

(٢) الكتب التربوية والتعليمية التي تعنى بتوجيه طالب العلم وتسديده .

الْمُخْلِصِينَ ، بِالْفَوْزِ وَالْخَلاَصِ في يَوْمِ الدِّينِ ، بَعْدَمَا اسْتَخَرْتُ ٱللهَ تَعَالَى فِيهِ ، وَسَمَّيْتُهُ :

تعليم المتعلم طريق التعلم

وجعلته فصولاً :

فَصْلٌ : في مَاهيَّةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَفَضْلِهِ .

فَصْلٌ : في النِّيَّةِ حَالَ التَّعَلُّمِ .

فَصْلٌ : في ٱخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالأُسْتَاذِ وَالشَّرِيك وَالثَّبَاتِ .

فَصْلٌ : في تَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ .

فَصْلٌ : في الْجِدِّ وَالْمُوَاظَبَةِ وَالْهِمَّةِ .

فَصْلٌ : في بِدَايَةِ السَّبْقِ وَتَرْتِيبِهِ وَقَدْرِهِ .

فَصْلٌ : في التَّوَكُّلِ .

فَصْلٌ : في وَقْتِ التَّحْصِيلِ .

فَصْلٌ : في الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحَةِ .

فَصْلٌ : في ٱلاسْتِفَادَةِ .

فَصْلٌ : في الْوَرَعِ حَالَ التَّعَلُّمِ .

فَصْلٌ : فِيمَا يُورِثُ الْحِفْظَ ، وَفِيمَا يُورِثُ النِّسْيَانَ .

فَصْلٌ : فِيمَا يَجْلُبُ الرِّزْقَ وما يمنعه ، وَمَا يَزِيدُ في الْعُمُرِ ، وَمَا يُنْقِصُ .

وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

الفصل الأول
في
ماهيّة العلم والفقه وفضله

فرضية العلم

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ [وَمُسْلِمَةٍ] »[٢] .

---

(١) نحتٌ من قولهم في السؤال عن حقيقة الشيء « ما هو ؟ » .

(٢) أخرجه الإمام أبو حنيفة في « مسنده » : ٣٠ ؛ ٣١ ؛ عن عبد الله ابن مسعود ، وأبي هريرة . وأخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » : ٩/٨ عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً ؛ وقد صحَّح بعض الأئمة بعض طرقه كما ذكره العراقي في « تخريج الإحياء » . وقد جعله المزِّي حسناً بمجموع طرقه .
أما لفظ (مسلمة) ! فهو داخل في إطلاق « مسلم » . وقد قال السخاوي في « المقاصد » : ألحق بعض المصنفين بآخره كلمة « مسلمة » ؛ وليس لها ذكر في شيء من طرقه ، وإن كان معناها صحيحاً !! =

علم الحال

اَعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ طَلَبُ كُلِّ عِلْمٍ ، وَإِنَّمَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ طَلَبُ « عِلْمِ الحَالِ » [1] .

فضيلته

فَإِنَّهُ يُقَالُ : أَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْحَالِ ، وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ حِفْظُ الْحَالِ .

وَيُفْتَرَضُ عَلَى الْمُسْلِمِ طَلَبُ عِلْمِ مَا يَقَعُ لَهُ فِي حَالِهِ في أَيِّ حَالٍ كَانَ ، فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّلاَةِ ؛

فَيُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقَع لَهُ في صَلاَتِهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ

= قال إسحاق ابن راهويه : معناه أنه يلزمه علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته ؛ إن كان له مالٌ ، وكذلك الحج وغيره .

(١) هو الفرض العيني لما يجب على كلِّ مكلف أن يصلح به حاله من عقيدة ، وعبادة ، وتربية . وقد كان لمبتدئي الطلبة رسالة صغيرة تعرف بـ « علم الحال » مطبوعة في الأزمنة المتأخرة يحفظها الصغار غيبا . وللعلامة الشيخ أحمد بن عبد الغني عابدين مجلد نفيس في (شرح علم الحال) حققه أستاذنا الشيخ أديب الكلاس حفظه الله وهو مطبوع .

فَرْضَ الصَّلاَةِ ،

وَيَجِبُ عَلَيْهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ الْوَاجِبَ ، لأَنَّ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرْضِ[1] . . يَكُونُ فَرْضاً ، وَمَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ . . يَكُونُ وَاجِباً .

وَكَذٰلِكَ في الصَّوْمِ، وَالزَّكَاةِ؛ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحَجِّ؛ إِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ ، وَكَذٰلِكَ في الْبُيُوعِ ؛ إِنْ كَانَ يَتَّجِرُ[2] .

حقيقة الزهد

قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ[3] رَحِمَهُ ٱللهُ : أَلاَ تُصَنِّفُ كِتَاباً فِي الزُّهْدِ ؟

---

(١) ومنه ما هو عيني وكفائي ، فالعيني: مطلوب من كلِّ مكلَّف على حدة ، والكفائي: من مجموع المسلمين. فيجب التنبه لكل منهما .

(٢) وكذا العقود والمعاملات؛ كنحو النكاح والطلاق لمن تأهَّل له ، أو الإجارة والرهن وغير ذلك لمن يحتاجه ويباشر أسبابه وأعماله . أما إقدام الشباب والفتيات على النكاح دون أن يتعلم ما يفترض عليه من أحكام الطلاق ونحوه ! فقد ترك لنا في المجتمع آثاراً سيئة ربَّما أدت إلى عشرة أهله بالحرام . . . ! ! فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الكوفي، أصله من قرية قرب